المسائل التي قال عنها ابن قدامة في المغني لم يخالف فيها إلا الحسن البصري

– مسائل مختارة من كتاب الصلاة – جمعاً ودراسة

أ.م.د محمد فؤاد حسن

Prof. Dr. Muhammad Fouad Hassan

وزارة التربية العراقية/ مديرية تربية الأنبار

Iraqi Ministry of Education/Anbar Education Directorate

dr.mohalmoola1969@gmail.com

07815242332

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى استقصاء ودراسة المسائل الفقهية المتعلقة بكتاب الصلاة في كتال "المغني"، والتي نصّ فيها الإمام ابن قدامة على وجود إجماع أو اتفاق لم يخالفه إلا التابعي الحسن البصري. تبرز أهمية البحث في تسليط الضوء على "مفردات" الحسن البصري ومقارنتها بمذاهب الأئمة الأربعة، مع بيان مدى تأثير هذه المخالفة على استقرار الإجماع عند الحنابلة.

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث تم جمع المسائل المختارة ، ثم دراسة أدلة الحسن البصري ومناقشتها في ضوء أدلة الجمهور. وتوصلت الدراسة إلى أن انفرادات الحسن البصري غالباً ما تستند إلى تمسكه بظواهر نصوص معينة أو آثار مرسلة، وأن حكاية ابن قدامة لمخالفته تعكس دقة الأمانة العلمية في عرض الخلاف حتى لو كان المخالف واحداً، مما يثري الفقه المقارن ويوضح مرونة الاستنباط الفقهي في العصور الأولى.

الكلمات المفتاحية: المسائل – خالف فيها – الحسن البصري – ابن قدامة – المغني

Research Abstract

This research aims to investigate and analyze the jurisprudential (Fiqh) issues within the "Book of Prayer" in the encyclopedia Al-Mughni, where Imam Ibn Qudamah explicitly noted a consensus or general agreement except for the dissenting opinion of the successor (Tabi'i) Al-Hasan Al-Basri. The importance of this study lies in shedding light on the "unique opinions" (Munfaridat) of Al-Hasan Al-Basri and comparing them with the four main schools of thought (Madhahib), while examining the impact of such dissent on the stability of consensus (Ijma') according to the Hanbali school.

The research adopts an inductive-analytical approach by collecting selected issues, followed by a comparative study of Al-Hasan Al-Basri's evidence against the arguments of the majority (Jumhur). The study concludes that Al-Hasan Al-Basri's unique positions were often based on his adherence to the literal meanings of certain texts or transmitted reports (Mursalat). Furthermore, the findings highlight Ibn Qudamah's meticulous scholarly integrity in documenting dissent, even from a single scholar, which enriches comparative jurisprudence and demonstrates the flexibility of legal deduction in the early eras of Islam.

Keywords: Jurisprudential Issues – Dissenting Opinions – Al-Hasan Al-Basri – Ibn Qudamah – Al-Mughni

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن كتاب "المغني" للإمام ابن قدامة المقدسي يعد من أوسع وأشمل الموسوعات الفقهية في الفقه المقارن، حيث تميز بدقة النقل واستيعاب أوجه الخلاف بين الفقهاء. ومن الظواهر العلمية اللافتة في هذا الكتاب، حكاية ابن قدامة لمسائل ينعقد فيها الاتفاق أو يكاد، ولا يشذ عنها إلا إمام جليل من أئمة التابعين وهو الحسن البصري. ومن هنا جاء هذا البحث ليجمع ويدرس تلك المسائل في أحد أهم أركان الإسلام وهو "كتاب الصلاة".

أولاً: أهمية الموضوع

تتجلى أهمية هذا البحث في النقاط الآتية:

١. قيمة المصدر: كونه يستمد مادته من كتاب "المغني"، الذي يمثل مرجعاً أساسياً لمعرفة الإجماع والخلاف.

٢. مكانة المخالف: الحسن البصري ليس مجرد فقيه، بل هو سيد التابعين في زمانه، ودراسة انفراداته تعطي عمقاً في فهم تطور الاستنباط الفقهي.

٣. تحرير الإجماع: المساهمة في تحرير مفهوم "الإجماع" عند الحنابلة، وهل تخرق مخالفة الواحد (كالحسن البصري) الإجماع المعتبر أم أنها تُصنف ضمن الخلاف السائغ.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

١. الرغبة في إبراز الأمانة العلمية: حيث إن ابن قدامة رغم سعة المذهب وموافقته للجمهور، لم يهمل رأي الحسن البصري، مما يستوجب تسليط الضوء على هذا المنهج.

٢. الاحتياج الفقهي: ندرة الدراسات التي تفرد انفرادات التابعين بالبحث والتحليل والمقارنة في أبواب العبادات، وتحديداً الصلاة.

٣. الثراء الاستدلالي: الوقوف على الأدلة التي استند إليها الحسن البصري في مخالفته للجمهور، ومعرفة مآخذ الاستدلال لديه (سواء كانت نصوصاً ظاهرة أو آثاراً مرسلة).

ثالثاً: أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

حصر واستقصاء: جمع المسائل التي نص فيها ابن قدامة في كتاب الصلاة على انفراد الحسن البصري بالمخالفة.

التحقيق الفقهي: دراسة هذه المسائل دراسة مقارنة، من خلال عرض أقوال المذاهب الأربعة وأدلتهم، ومناقشة وجهة نظر الحسن البصري.

التحليل المنهجي: الكشف عن المنهج الذي اتبعه ابن قدامة في التعامل مع مخالفات الحسن البصري، وكيفية توظيفها في سياق الاستدلال.

تقييم الأثر: بيان مدى تأثير هذه المخالفة على دعوى "الإجماع" في تلك المسائل عند الفقهاء المتأخرين.

رابعاً: مشكلة البحث

يجيب البحث عن التساؤلات الرئيسة التالية:

ما هي المسائل المتعلقة بالصلاة التي انفرد الحسن البصري بمخالفتها وفق ما نقله ابن قدامة؟

ما هي الأصول الاستدلالية التي اعتمد عليها الحسن البصري في تلك المسائل (هل هي نصوص، آثار، أم قياس)؟

كيف أجاب الجمهور (وبالأخص ابن قدامة) عن أدلة الحسن البصري في هذه المسائل؟

هل تُعد مخالفة الحسن البصري في هذه المسائل قادحة في الإجماع عند الأصوليين والفقهاء، أم أنها تُعد من قبيل "الإجماع الذي سبقه خلاف"؟.

خامساً: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة ومصادر ومراجع.

المقدمة: وقد ذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه ومشكلته.

المبحث الأول: ترجمة ابن قدامة، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اسمهُ ولقبهُ ونسبهُ.

المطلب الثاني: ولادتهُ وشخصيتهُ.

المطلب الثالث: طلبه للعلم وثناء العلماء عليهِ.

المطلب الرابع: شيوخهُ وتلاميذهُ.

المطلب الخامس: مؤلفاتهُ.

المطلب السادس: وفاته.

المبحث الثاني: مسائل مختارة من كتاب الصلاة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صلاة الأمة مكشوفة الرأس.

المطلب الثاني: حكم خطبة الجمعة.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

المصادر والمراجع: وهي مرتبة حسب الحروف الهجائية.

المبحث الأول: ترجمة ابن قدامة

المطلب الأول :اسمهُ ولقبهُ ونسبهُ

هو الإمام والعالم والفقيه الشيخ موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ابن مقدام بن نصر بن عبد الله بن حذيفة بن محمد بن يعقوب بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل ابن يحيى بن محمد بن سالم بن عبد الله ابن الخليفة عمر بن الخطاب، القرشي، الجماعيلي، الدمشقي، المقدسي [١].

لُقِبَ (بالموفق) و(بشيخ الإسلام)، وهو أحد أئمة المذهب الحنبلي وشيوخها صاحب كتاب المغني ويمكن عدّهُ من أكبر كتب الفقه الإسلامي عموماً والمذهب الحنبلي على وجه الخصوص[٢].

وأما نسبة الإمام ابن قُدامة فهي المقدسي الجماعيلي الدمشقي[٣].

– فالمقدسي: نسبة إلى أسرة تُدعى بالمقادسة، يلقبون بهذا اللقب، لقرب سكنهم من بيت المقدس[٤].

– والجماعيلي: نسبة إلى قرية قد ولد فيها الإمام ابن قدامة وهي قرية في فلسطين[١].

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢٢/ ١٦٥؛ والوافي بالوفيات،الصفدي٢٣/١٧؛ وذيل طبقات الحنابلة، السلامي٣/ ٢٨١.

(٢) ينظر: المصادر نفسها.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي ٤٤/ ٤٨٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

– وأما الدمشقي: ولأنهُ نزل في دمشق، وعاش بها أكثر حياته، وتوفي فيها[٢].

المطلب الثاني: ولادتهُ وشخصيتهُ:

ولد في شهر شعبان سنة (٥٤١هجري) الموافق (١١٤٧ميلادي) في قرية جَمّاعيل إذ تسمى اليوم (جماعين)، وهي قرية في فلسطين تقع على أعالي جبال نابلس[٣].

وقد ظهرت شخصيته العلمية وملكته التأليفية من خلال كتاباته التي دللت على قوة شخصيته، وفكرهِ المميز، وتفردهِ في إبداء رأيه، ونور بصيرته، وصحة عقيدته، ونباهتهِ وذكاءهِ في قول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم ناصر الحق وهادم الباطل[٤].

وأما الصفات (**الخُلُقية**) فقد تميز الإمام ابن قُدامة بالورع والتقوى والصدق ومراقبته لله عز وجل في كل حركاتهِ وسكناتهِ حتى رزقهُ الله بالفتح الرباني، ونور البصيرة ،وحدة الذكاء، وسعة الأفق ،وسُرعة البديهة وقوة السليقة ورحابة الصدر، كثرة المذاكرة، الأسفار والرحلات ومتابعة الأئمة في تحصيل العلم، وخصه الله بالفضل العظيم، والفكر الخصب، والعلم المتكامل. شاعت شهرته في الآفاق، وندر أن يجود الزمن بمثله. أتقن العلوم النقلية والعقلية وأحاط بجوانبها. في الحديث، تقدم الجميع وكان سيد ميدانه، وفي الفقه، كان المبرز الذي لا يُجارى، وأعلم الناس في الفتوى. له العديد من المؤلفات القيّمة، ويكاد الزمن يعجز عن أن يتيح لنا شخصًا مماثلًا له. جمع بين التواضع مع الخاصة والعامة، وكان حسن العقيدة، متصفًا بالحلم ومزينًا بالوقار، عابدًا وزاهدًا، وقائمًا في الطاعة بصدق وإخلاص[٥].

وأما (**الخَلقية**) كان ذا وجه مشرق وأبيض، عيناه سوداوين لامعتان، وكأن النور ينبثق من وجهه لجماله. جبينه واسع، لحيته طويلة، وجسده نحيف. ثم قال: لقد رأيت الإمام أحمد في المنام فقال لي إن صاحبكم الموفق لم يقصر في شرح الخرقي[٦].

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ١٦٦/٢٢.

(٢) ينظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن مفلح ١٦/٢.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام، للذهبي ٤٤/ ٤٨٤، وطبقات المفسرين العشرين، للسيوطي ١/ ١٧٧.

(٤) ينظر: ابن قدامة وآثاره الأصولية، ٨٤/١–٨٥.

(٥) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي ٣/ ٢٧٨، وتاريخ الإسلام، للذهبي ١٣٦/١٢.

(٦) ينظر: العبر في خبر من غبر، للذهبي ١٨١/٣.

المطلب الثالث: طلبه للعلم وثناء العلماء عليهِ:

كان الإمام ابن قُدامة مُحباً للعلم والتعلم والعلماء فقد ارتحل إلى مدنٍ عدة في سبيل تحصيل العلم ومتابعة العلماء، هاجر مع أخيه الشيخ أبي عمر في عام ٥١، حيث حفظ القرآن الكريم وتفقه في الدين. ثم انتقل إلى بغداد، حيث التقى بالشيخ عبد القادر واستفاد من علمه، كما سمع من هبة الله الدقاق وابن البطي وآخرين من كبار العلماء في عصرهم. درس الفقه على يد ابن المني حتى تفوق على أقرانه، وأصبح مرجعًا في المذهب وأصوله. كان بجانب علمه الغزير وتخصصه المتعدد، رجلاً ورعًا وزاهدًا، يتسم بالهيبة والوقار، ويمتلك الحلم والتأني. كانت حياته ممتلئة بالانشغال بالعلم والعمل دون انقطاع، وكان يفحم الخصوم بالحجج والبراهين ولا يتحرج ولا ينزعج وخصمه يصيح ويحترق[١] .

وكان حبه للعلم ظاهراً بين العامة إذ سافر لأماكن كثيرة لطلب العلم ، فقد سافر إلى العراق في (بغداد والموصل) ومن ثم إلى السعودية(مكة المكرمة)، ثم عاد إلى العراق ومن ثم إلى سوريا (دمشق).

حفظ القرآن الكريم منذ صغره قبل بلوغهِ سن التكليف، وحفظ مختصر الخرقي، وتعلم أصول الدين، وكتبَ الخط المليح، ثم تلقى العلم بحاضرة بني العباس بغداد ومكة، وتتلمذ على يد كبار مشايخ دمشق وأعلامها ، واستوطن بعدها في دمشق عاصمة العلماء وكرّس جهده حتى برع ونبغ، وكان إماما في كافة اختصاصات العلم الشرعي حتى بلغ رُتبة الاجتهاد المطلق في مذهبهِ[٢]

فقد تحدث عنه الكثير من الأئمة والعُلماء والفقهاء:

١- وقال عنه **الضياء المقدسي:** (كان علماً بارزاً في القرآن الكريم، رائداً في تفسيره، متمكناً في علم الحديث وحل مشكلاته، مرجعاً في الفقه وأبرز علماء عصره فيه، متفوّقاً في علم الخلاف، متبحّراً في علم الفرائض حتى صار فريداً في زمنه، متقناً لأصول الفقه وبحوثه،

(١) ينظر: العبر في خبر من غبر، للذهبي: ٣/ ١٨١.

(٢) ينظر: المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب ٤٨٦/١.

مميزاً في النحو وقواعده، ضليعاً في الحساب، ومتعمقاً في علوم النجوم والكواكب ومنازلها.[١].

٢- وقال عنه **ابن غنيمة المفتي**: لا أعرف أحدًا في زمنـــي بلغ مرتبة الاجتهاد إلا الموفق[٢]

٣- وقال **عنه سبط ابن الجوزي**: كان شديد الحياء ونزيهاً عن الدنيا وأهلها، يتميز باللطف والتواضع، محباً للمحتاجين، يتسم بحسن الأخلاق والكرم والعطاء. من يراه يخال له أنه رأى أحد الصحابة، فكأن النور ينبعث من وجهه. كان كثير العبادة يخصص جزءاً من يومه وليلته لقراءة سبع أجزاء من القرآن، ولا يصلي ركعتي السنة إلا في بيته اتباعاً للسنة، وكان يحضر مجالسي دائماً بجامع دمشق وقاسيون[٣].

٤- وقال **ابن رجب**: كان حريصًا على متابعة الموروث في مجال الأصول وغيرها، ولا يجيز إطلاق العبارات التي لم تُنقل بشكلٍ مؤثر. كان يدعو إلى الإقرار بما ورد في الكتاب والسنة من الصفات دون الدخول في تفسيرها أو محاولة تكييفها، مع الامتناع عن التمثيل أو التحريف، والتجنب التام للتأويل أو التعطيل[٤]. وقال أيضاً: قدم الشيخ الموفق العديد من المؤلفات القيمة والمتعددة في المذهب، سواء في الفروع أو الأصول، إضافة إلى الحديث، اللغة، الزهد، والرقائق. تُعتبر تصانيفه في أصول الدين ذات جودة عالية ومعظمها يتبع منهج أئمة الحديث. كان الشيخ يمتنع عن الانشغال بالجدل مع المتكلمين في دقائق علم الكلام، حتى عندما يتعلق الأمر بالرد عليهم، متمسكًا في ذلك بمنهج الإمام أحمد[٥].

٥- وقال عنه الكتبي: كان إماما حجة مصنفا متفننا محررا متبحرا في العلم كبير القدر[٦].

المطلب الرابع: شيوخهُ وتلاميذهُ:

(١) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي ٣/ ٢٨٦.
(٢) ينظر:شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي٧/ ١٥٧،وذيل طبقات الحنابلة ٣/ ٢٨٦.
(٣) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي ٣/ ٢٨٤؛ والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن مفلح ٢/ ١٧.
(٤) ينظر:شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٧/ ١٥٩؛ وذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي ٣/ ٢٩١.
(٥) ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي ١٠٩/٢.
(٦) ينظر: فوات الوفيات، لابن هارون ٢/ ١٥٩.

أولاً: شيوخهُ: تتلمذ الشيخ ابن قدامة المقدسي على كثير من علماء عصره، سنذكر بعضاً منهم مرتبين بحسب سنوات وفياتهم فيما يأتي:

١- **الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة (٤٩١ – ٥٥٨ هـ):** الزاهد، والد الشيخ أبي عمر والشيخ الموفق، عاش سبعة وستين عامًا وكان خطيب بلدة جمّاعيل. عندما تعرضت المنطقة لتهديد الفرنجة، ترك موطنه مهاجرًا بحياته إلى الله، واستقر في البداية بمسجد أبي صالح القريب من باب شرقي بدمشق. لاحقًا، ابتعد إلى الجبل بسبب التلوث في محيط باب شرقي، فانتقل مع أبنائه إلى سفح جبل قاسيون، حيث عُرفوا باسم الصالحية نسبة إلى مسجد أبي صالح الذي اتخذوه مكانًا لهم. وقد سميت المنطقة لاحقًا بهذا الاسم "الصالحية"، بعد أن كانت تعرف بقرية الجبل، أو قرية النخل لكثرة النخيل فيها. كان الشيخ رجلاً زاهدًا ذا صلاح وقنوت لله، متفانيًا في الجد والعمل الصالح والسعي للخير. وهو مؤسس الدير بالصالحية، وكان يُشهد له بالزهد والتقوى وحرصه الشديد على فعل الخير(١).

٢- **الباز الأشهب عبد القادر الكيلاني (٤٧١ – ٥٦١هـ):** الشيخ عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست، المعروف بأبي محمد الجيلي، كان واحدًا من أبرز العلماء والزهاد في بغداد، وشيخًا لعصره وقدوة للعارفين. تميز بمقامات رفيعة وكرامات عديدة، وكان مفسرًا وخطيبًا بارعًا ومجددًا للدين، كما كان مدرسًا لمذهب الحنابلة. اشتهر الشيخ بتقدمه في مجال الوعظ وتحدثه في الأمور الروحية.

وُلِد الشيخ في مدينة جيلان سنة ٤٧١ هـ، وانتقل إلى بغداد في شبابه حيث تعلّم على يد الشيخ أبي سعد المخرمي، وتتلمذ أيضًا على علماء آخرين أمثال أبي غالب بن الباقلاني وجعفر السراج وغيرهم. إضافة إلى ذلك، صحب الشيخ حماد الدباس، مما أثرى معرفته وتعليمه.

وصفه الشيخ الموفق بقوله: "أقمنا عنده في مدرسته شهرًا وتسعة أيام، ثم وافته المنية وصلينا عليه". وأضاف: "لم أسمع عن أحد تُروى عنه الكرامات كما تُروى عن الشيخ عبد القادر، ولم أرَ من يُعظَّم لدينه مثله".لاعاش الشيخ الجليل قرابة ٩٠ عامًا، وترك إرثًا فكريًا

(١) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي٦/ ٣٠٤ ، والعبر في خبر من غبر، للذهبي ٣/ ٢٩.

وروحيًا غنيًا تضمن العديد من المؤلفات التي لا تزال محل تقدير واحترام إلى اليوم. (الفتح الرباني–فتوح الغيب). دخل بغداد وسمع من الشيوخ وفوضت اليه مدرسة باب الازج فوعظ بها، وظهر له صيت بالزهد. ثم وسعت المدرسة لكثرة روادها، وعند وفاته دفن بها[١].

٣- **الدّجَاجيّ (٤٨٠-٥٦٤ هـ)**: سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي البغدادي، أبو الحسن، من أعيان الفقهاء الفضلاء وشيوخ الوعاظ النبلاء، كان لطيف الكلام حلو الإيراد، ملازما للمطالعة. كان يخالط الصوفية ويحضر معهم السماعات وسمع والده الخطاب محفوظ بن أحمد وعلي بن عبد الرحمن بن الجراح، وتفقه وناقش ووعظ، وكان رقيق الكلام، جميل التعبير، مواظبًا على المطالعة حتى وافته المنية[٢].

سُئل في مجلس وعظه، وأنا حاضر أستمع، عن أمور الصفات، فنهى عن الخوض فيها، وحثّ على القبول والتسليم بها [٣].

٤- **ابن البطِّيِّ (٤٧٧ – ٥٦٤هـ)**: أبو الفتح بن البطي الحاجب محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان البغدادي مسند العراق الشَّيْخُ الجَلِيْلُ العَالِمُ الصَّدُوْق وله سبع وثمانون سنة ، أجازه أبو نصر الزينبي وتميَّز بذلك، كما انفرد بالرواية عن البانياسي وعاصم بن الحسن وعلي بن محمد بن محمد الأنباري والحميدي وغيرهم. اشتهر بتدينه وعفافه، وكان شغوفًا بالرواية ومتحرٍّ للدقة في أصولها، وَقَالَ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّيْنِ: هُوَ شَيْخُنَا وَشَيخُ أَهْلِ بَغْدَادَ فِي وَقْتِهِ، وَأَكْثَرُ سَمَاعَاتِهِ عَلَى أَبِي الفَضْلِ بنِ خَيْرُوْنَ، وَمَا رَوَى لَنَا عَنْ رِزْق اللهِ وَالحُمَيْدِيِّ وَحَمْدٍ غَيْرُهُ، وَكَانَ ثِقَةً سهلًا في السماع، توفي في ٢٧من جمادى الأولى[٤].

٥- **ابن المُنّي المفتي (٥٠١ – ٥٨٣هـ)**: الإمام سيف الدين أبو المظفر محمد بن أبي البدر مقبل بن فتيان بن مطر النهرواني ثم البغدادي الحنبلي تفقه على محمد بن علي بن الدنف المقرئ والحسين بن محمد البارع وهبة الله بن الحصين، وحدث ودرّس مدة طويلة وتخرج به

---

(١) ينظر: العبر في خبر من غبر، للذهبي ٣٦/٣ ، وتاريخ إربل، لابن المستوفي ١١٤/٢، وسير أعلام النبلاء،للذهبي ١٧٩/١٥.

(٢) ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٣٣/١،وفوات الوفيات،ابن هارون ٢/ ٤٦،والوافي بالوفيات، الصفدي١١٥/١٥.

(٣) ينظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك،ابن الجوزي ١٨/ ١٨٤

(٤) ينظر: العبر في خبر من غبر، الذهبي ٤٤/٣،وسير أعلام النبلاء، الذهبي ١٥/ ٢٠٤.

كثير ، ونتصدر للعلم ونال مكانة مرموقة فيه، وازدادت أعداد الطلاب الذين توافدوا لطلب العلم على يديه. من أبرز من تتلمذ عليه الشيخ موفق الدين، والبهاء عبد الرحمن، والفخر إسماعيل. وروى عنه أبو صالح نصر بن عبد الرزاق، ومحمد بن مقبل بن المني، ابن أخيه، وعدد من العلماء الآخرين. ذكر ابن النجار أنه كان ورعاً، عابداً، حسن السيرة، متبعاً نهج السلف الصالح. تعرض في أواخر أيامه لأذى أثّر عليه وأصابه ثقل في سمعه، إلا أنه استمر في التدريس في مسجده بالمأمونية حتى وفاته. توفي في الخامس من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وشيعت جنازته بحفاوة بالغة، حيث حمل على الأكتاف وسط ازدحام الناس. وتولى حفظ جنازته عدد من رجال الترك نظراً لكثرة الحشود، ثم دفن في داره [١].

ثانياً: تلاميذهُ: ذكر أصحاب التراجم والسير جمعاً كثيراً من تلاميذ الشيخ ابن قدامة المقدسي ، سنذكر بعضاً منهم مرتبين بحسب سنوات وفياتهم فيما يأتي:

١- **ابن الدبيثي (٥٥٨ – ٦٢١ هـ):** أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي سعيد بن أبي طالب بن أبي الحسن علي ابن الحجاج بن محمد بن الحجاج، المعروف بابن الدبيثي، كان فقيهًا ومؤرخًا من مدينة واسط، اشتهر بسعة علمه في الحديث واهتمامه الكبير بالتاريخ وأسماء الرجال. تميز بحفظه الجيد، حيث كان يوظف محفوظاته في النقاشات والمحاورات بأسلوب بارع. يُعد من أبرز الحُفّاظ الذين عملوا على إثراء المعرفة بتاريخ الحديث ورجاله، وله مكانة مرموقة بين العلماء والنبلاء. صنّف كتابًا مهمًا كان بمثابة ذيل وإضافة على تاريخ أبي سعد عبد الكريم ابن السمعاني، مساهمًا بذلك في تأريخ وتوثيق التراث العلمي [٢].

٢- **ابن الخويي (٥٨٢ – ٦٣٧هـ):** قاضي القضاة شهاب الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر الشافعي كان من أبرز علماء عصره، مشهودًا له بالمعرفة العميقة والتنوع في العلوم والدقة في التصنيف، بالإضافة إلى شخصيته اللطيفة التي جعلته محببًا في مجالسه. تولى القضاء في حلب لفترة، ثم انتقل لتولي قضاء الشام خلفًا لبهاء الدين بن الزكي. توفي في الخامس والعشرين من شهر رمضان، وكان يُعرف بتواضعه وحرصه على العدل حيث كان يقول إنه لا يستطيع إيصال المناصب إلى

---

(١) ينظر: العبر في خبر من غبر، الذهبي٢٦٤/٣،وتاريخ إربل: ابن المستوفي١١٩/٢،وسير أعلام النبلاء، الذهبي ١٣٨/٢١.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٣٩٤/٤، والأعلام،للزركلي١٠٨/١.

مستحقيها بسهولة، وكَانَ مِن أَذْكِيَاءِ المُتَكَلِّمِينَ وَأَعيَانِ الحُكَمَاءِ وَالأَطِبَّاءِ، ذَا دِيْنٍ وَتَعَبُّدٍ، وَلَهُ مُصَنَّفٌ فِي النَّحْوِ، وَآخَرُ فِي الأُصُوْلِ، وَآخَرُ فِيهِ رُمُوْزٌ فَلْسَفِيَّةٌ، له تصانيف منها أقاليم التعاليم الجبر والمقابلة والهيئة ومنظومات في البيان [١].

٣- **ضياء الدين المقدسي (٥٦٩ – ٦٤٣هـ):** محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل، الحافظ الحجة الإمام ضياء الدين أبو عبد الله السعدي المقدسي الدمشقي الصالحي صاحب التصانيف؛ وُلد الحافظ ضياء الدين المقدسي، المعروف بالبدر المبارك، عام ٥٦٩ هـ. نشأ على يد الحافظ عبد الغني وتلقى العلم منه، حيث حفظ القرآن الكريم وتفقه في الدين. بدأ رحلاته العلمية بالانتقال إلى مصر عام ٥٩٥ هـ، حيث نهل العلم وسمع من علمائها. ثم اتجه جنوباً إلى بغداد عقب وفاة ابن كليب، وتلقى فيها العلم عن ابن الجوزي وغيره من العلماء البارزين. لاحقًا، زار مدنًا أخرى مثل همذان وعاد إلى دمشق بعد عام ٦٠٠ هـ. استمر ضياء الدين في رحلاته العلمية، حيث توجه إلى أصفهان وأخذ العديد من كتب المسانيد والأجزاء، ثم قصد نيسابور حيث استفاد كثيرًا من العلم والكتب بالشراء والنسخ. كما حضر مجالس العلم في مكة وقضى أوقاتًا في طلب العلوم والتأليف والنسخ بعد عودته. نال ضياء الدين الإجازات العلمية من أعلام عصره مثل السلفي وشهدة وابن بري وغيرهم الكثير. وذكر الشيخ شمس الدين أنه سمع الشيخ جمال الدين المزي يقول إن الحافظ ضياء الدين كان أعلم من شيخه الحافظ عبد الغني. ومن أبرز أعماله العلمية كانت تصانيفه الكثيرة التي حظيت بتقدير العلماء في زمانه. (كتاب الأحكام) (فضائل الأعمال) بنى فيها مدرسة دار الحديث الضيائية المحمدية بسفح قاسيون، شرقي الجامع المظفري، ووقف بها كتبه. ورحل إلى بغداد ومصر وفارس، وروى عن أكثر من ٥٠٠ شيخ[٢].

٤- **المنذري (٥٨١ – ٦٥٦هـ):** عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة الحافظ الكبير زكي الدين أبو محمد المنذري الشامي ثم المصري الشافعي، محدث، حافظ، فقيه، مشارك في القراءات واللغة والتاريخ، من مؤلفاته: شرح التنبيه للشيرازي في فروع

---

(١) ينظر: العبر في خبر من غبر،الذهبي ٣٨٠/٣، والبداية والنهاية، ابن كثير ١٨١/١٣، وسير أعلام النبلاء،الذهبي ٢٣ /٦٤، والأعلام، للزركلي ٣٢٤/٥.

(٢) ينظر: فوات الوفيات، ابن هارون ٤٢٦/٣-٤٢٧، والوافي بالوفيات، الصفدي ٤٨/٤، والأعلام، الزركلي٢٥٥/٦.

الفقه الشافعي، معجم الشيوخ، مختصر سنن أبي داود وسماه المجتبى ، سمع من الأرتاحي وأبي الجود وابن طبرزد وجمع من العلماء، وتتلمذ على أبي الحسن علي بن المفضل، لازمه لفترة طويلة، وتخرج تحت إشرافه. له معجم كبير وثّق فيه رواياته، وتولى مشيخة المدرسة الكاملية لمدة عشرين عامًا، حيث انقطع خلالها إلى العلم والتعليم. كان من الثقات والأئمة المتبحرين في علوم الحديث، متمكنًا من الفقه والنحو، مع ما عُرف عنه من الزهد والورع وحسن الخُلُق. كما استفاد من عبد المجيد ابن زهير، وإبراهيم بن البتيت، ومحمد بن سعيد المأموني، والمطهر بن أبي بكر البيهقي، والحافظ ربيعة اليمني، وأبي الجود غياث بن فارس، بالإضافة إلى تدريبه الأبرز على يد الحافظ ابن المفضل. وفي مكة، سمع من يونس الهاشمي وأبي عبد الله بن البناء. ألّف معجمًا كبيرًا ومفيدًا نُقل عنه معارف كثيرة. من بين من روى عنه: الدمياطي، وأبو الحسين اليونيني، وإسماعيل بن عساكر، وعلم الدين الدواداري، وتقي الدين ابن دقيق العيد، وكثيرون غيرهم ممن انتفعوا بعلمه [١].

٥- **شمس الدين ابن قدامة المقدسي (٥٩٧ – ٦٨٢هـ):**عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، شيخ الإسلام وبقية الأعلام، شمس الدين أبو محمد ابن القدوة الشيخ أبي عمر، المقدسي الجماعيلي الصالحي الحنبلي الخطيب الحاكم؛ ولد في قرية الدير المبارك بسفح قاسيون ، تلقى العلم عن حنبل وابن طبرزد والكندي وابن الحرستاني وابن كامل والقاضي أسعد بن المنجا وابن البنا وابن ملاعب والبكري والجلاجلي والشمس والبخاري وغيرهم من العلماء. قرأ وكتب على يد الشيوخ البارزين، ودرس عند ابن الزبيدي وجعفر الهمداني والضياء المقدسي. كما سمع الحديث في مكة عن أبي المجد القزويني وابن باسويه، وفي المدينة عن أبي طالب عبد المحسن بن أبي العميد الخفيفي. حصل على إجازات علمية من أبي الفرج ابن الجوزي وأبي جعفر الصيدلاني، ووصلت إليه ريادة المذهب في زمانه. تميز بعلمه الغزير، وأخلاقه الكريمة، وزهده في الدنيا. تقلد منصب القضاء لأكثر من اثنتي

(١) ينظر: العبر في خبر من غبر، الذهبي ٣/٢٨١-٢٨٢، وفوات الوفيات، ابن هارون٢/٣٦٧، ومعجم المؤلفين٥/٢٦٤.

عشرة سنة دون أن يتقاضى أجراً، ثم تركه طوعاً. وعند وفاته رثاه كل من شمس الدين الصائغ، والشيخ علاء الدين ابن غانم، وتقي الدين ابن تمام، وشهاب الدين محمود [١].

المطلب الخامس: مؤلفاتهُ:

فقد ترك الإمام ابن قدامة ثروة كبيرة من المؤلفات والكتب الفقهية، احتوتها المكتبات الإسلامية إذ تناول فيها من مختلف تخصصات العلوم الشرعية في الفقه أو الحديث في أكثر مؤلفاتهِ إذ لم يدع ثغرة إلا وملأها، وسأذكرها بحسب كل تخصص[٢] فيما يأتي:

أولا: مؤلفاتهُ في العقيدة

١- **ذم التأويل:** طبع في الدار السلفية- الكويت، بتحقق بدر بن عبد الله البدر الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢- **إثبات صفة العلو:** طبع بتحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي نشر في مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

٣- **لمعة الاعتقاد:** نشر في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤- تحريم النظر في كتب الكلام: طبع بتحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، نشر في عالم الكتب - السعودية - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

ثانياً: مؤلفاتهُ في الفقه

---

(١) ينظر: فوات الوفيات، ابن هارون ٢٩١/٢،والوافي بالوفيات، الصفدي ١٤٣/١٨،وذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب: ٣٥/٥.

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم٤٨٩/١، وسير أعلام النبلاء،الذهبي١٥٠/١٦، والعبر في خبر من غبر، الذهبي ٣/ ١٨١، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي ١٦٠/٦، وفوات الوفيات، ابن هارون ٢/ ١٥٩؛ والوافي بالوفيات، الصفدي ١٧/ ٢٣؛ وذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب ٣/ ٢٨٤، والتاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، للفنوجي ٢٢٠/١، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة ٦/ ٣٠، والأعلام، الزركلي ٦٧/٤.

١-المغني في شرح مختصر الخرقي: طبع في دار الصحابة للتراث، الطبعة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢-المقنِع في فقه الإمام أحمد: طبع في دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار.

٣-الكافي في فقه الإمام أحمد: طبع في: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

٤- عمدة الفقه الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير.

٥-مختصر منهاج القاصدين: قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، نشر: مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق عام النشر: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٦- "مختصر الهداية لأبي الخطّاب" .

٧- "رسالة في المذاهب الأربعة" .

٨- "فتاوى ومسائل منثورة" .

٩- "مقدمة في الفرائض" .

١٠- "مناسك الحج".

ثالثاً: مؤلفاته في أصول الفقه:

١-روضة الناظر وبهجة المناظر نشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢-عمدة الحازم في الزوائد على مختصر أبي القاسم: حققه: نور الدين طالب نشر: وزارة الأوقاف الإسلامية، قطر ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

رابعاً: مؤلفاته في علوم القرآن والسنة

١-رسالة في القرآن وكلام الله: حققه: يوسف بن محمد السعيد، نشر: دار أطلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٢- المناظرة في القرآن: طبع بتحقيق: عبد الله يوسف الجديع، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

٣- المنتخب من علل الخلال: حققه: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، نشر: دار الراية للنشر .

٤- بُلغة الطالب الحثيث في صحيح عوالي الحديث: مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤.

خامساً: مؤلفاتهُ في الفضائل والأخلاق:

١- فضل يوم التروية وعرفة: مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني.

٢- كتاب التوابين. ٣- كتاب الزهد ٤-كتاب المتحابين في الله. ٥- ذم الوساوس.

سادساً: مؤلفاتهُ في التاريخ والأنساب

١- "الاستبصار في نسب الأنصار" . ٢- "التبيين في نسب القرشيين".

المطلب السادس: وفاتهُ:

رحل صرحُ كبير من أصرحة العلماء النُجباء بقي منهُ أثره الطيب وكتبهُ القيّمة توفي الإمام الفقيه ابن قدامة سنة (٦٢٠هـ) الموافق (٧) يوليو (١٢٢٣م) في دارهِ الواقعة (دمشق) سوريا وقد مُلِئت حينها تلك المدينة من الحزن الشديد لوفاة هذا العالم الجليل [١].

المبحث الثاني: مسائل مختارة من كتاب الصلاة

المسألة الأولى

صلاة الأمة مكشوفة الرأس

لا خلاف بين الفقهاء أن الحرة يجب عليها تغطية رأسها في الصلاة.

واختلفوا في الأمة على قولين :

---

(١) ينظر: تاريخ إربل، ابن المستوفي ٥٢٤/٢،وشذرات الذهب في أخبار من ذهب،ابن العماد الحنبلي ١٦٢/٧، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،الذهبي١٣٦/١٢،ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة ٣٠/٦.

القول الأول: تصح صلاة الأمة مكشوفة الرأس، وهو جمهور الفقهاء من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة[١].

واستدلوا بما يأتي:

١. عن أنس ﷺ، أن عمر ﷺ، ضرب أمة لآل أنس رآها متقنعة قال: "اكشفي رأسك، لا تشبهين بالحرائر"[٢].

٢. عن نافع، أن صفية أخبرته قالت: خرجت امرأة مختمرة متجلببة، فقال عمر ﷺ: من هذه المرأة؟ فقيل له: هذه جارية لفلان أحد أبنائه فأرسل إلى ابنته حفصة رضي الله عنها فقال: "من حملك على أن تخمري هذه الأمة وتجلبيها، وتشبهيها بالمحصنات حتى هممت أن أقع بها، لا أحسبها إلا من المحصنات، لا تشبهوا الإماء بالمحصنات"[٣].

٣. عن أنس بن مالك ﷺ، قال: دخلت على عمر بن الخطاب ﷺ أمة، قد كان يعرفها لبعض المهاجرين، أو الأنصار، وعليها جلباب متقنعة به، فسألها عتقت؟ قالت: لا، قال: "فما بال الجلباب، ضعيه عن رأسك، إنما الجلباب على الحرائر من نساء المؤمنين" فتلكأت، فقام إليها بالدرة فضرب بها برأسها، حتى ألقته عن رأسها[٤].

٤. إن هذا كان مشهورا بين الصحابة لا ينكر، حتى أنكر عمر مخالفته كان ينهى الإماء عن التقنع. قال أبو قلابة: إن عمر بن الخطاب كان لا يدع أمة تقنع في خلافته، وقال: إنما القناع للحرائر[٥].

القول الثاني: لا تصح الصلاة وهي مكشوفة الرأس ويجب تغطيته، قال ابن قدامة عن هذا القول: (وصلاة الأمة مكشوفة الرأس جائزة هذا قول عامة أهل العلم. لا نعلم أحدا خالف في هذا إلا الحسن)[١].

---

(١) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: ١/ ٢١٩، بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ١/ ١٢٤، الحاوي الكبير: ٢/ ١٧١، المغني لابن قدامة: ١/ ٤٣٢.

(٢) مصنف عبدالرزاق الصنعاني، باب الخمار، ٣/ ١٣٦، رقم (٥٠٦٤).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي، باب عورة الأمة، ٢/ ٣٢٠، رقم (٣٢٢١). قال البيهقي: والآثار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك صحيحة.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، ٤١/٢، رقم (٦٢٤٠).

(٥) المغني لابن قدامة: ١/ ٤٣٢.

واستدلّ بما يأتي:

أن الشريعة أوجبت الخمار على جميع النساء في الصلاة وأوجبت تغطية الرأس فلا تصح صلاة المرأة مكشوفة الرأس ، والأمة من جملة النساء فتكون مشمولة في هذا العموم(٢).

وأُجيب عن هذا:

الخطاب الموجه إلى الجنس الواحد هل يتناول الأحرار والعبيد معا أم الأحرار فقط دون العبيد، فقد ثبت الاختلاف في الأحكام بين الأحرار والعبيد كما هو الحال في وجوب صلاة الجماعة، والدية ، وغيرها(٣).

الرأي الراجح:

بعد عرض أقوال الفقهاء وأدلتهم فإن الذي يبدو لي رجحانه هو القول الأول القائل بصحة صلاة الأمة مكشوفة الرأس؛ لأنه يكاد يكون إجماعًا بين الصحابة، فلم يُنكر أحد منهم على عمر رضي الله عنه قوله في الأمة.

وبهذا يتبين أن قول ابن قدامة لم يخالف في هذه المسألة إلا الحسن قول صحيح ، فلم أجد من خالف غير الحسن.

والله تعالى أعلم

المسألة الثانية

حكم خطبة الجمعة

قال ابن المنذر: (وأجمعوا على أن الجمعة واجبة على الأحرار البالغين المقيمين الذي لا عذر لهم)(٤)

---

(١) المغني لابن قدامة: ١/ ٤٣٢.

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ١/ ١٢٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الإجماع: ١/ ٤٠.

واختلف الفقهاء في حكم الخطبة لصلاة الجمعة، هل تعتبر شرطًا أساسيًا لصحتها، بحيث لا تصح بدونها، أم أنها مجرد سنة يمكن أن تقام الصلاة بدونها؟ وقد تباينت آراؤهم في ذلك على قولين.

القول الأول: الخطبة شرط لصحة الجمعة، وهو قول الحنفية، والشافعية، والحنابلة والامامية والزيدية وجمهور المالكية وهو الصحيح عندهم [١].

واستدلوا بما يأتي:

١- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [٢].

اختلف السلف في تفسير المقصود بذكر الله فيها إلى وجهتين: فالبعض رأى أنه يشير إلى الخطبة، بينما اعتقد البعض الآخر أنه يقصد الصلاة [٣] ورجح ابن العربي أن الآية تعم الأمرين [٤].

فعلى القول بأن المقصود هو الخطبة، فإن النص يشير إلى وجوبها من جانبين:

الأول: أن الأمر بالسعي إليها يدل على الإلزام، حيث إن الأصل في الأمر هو الوجوب، والسعي الواجب لا يتوجه إلا نحو ما هو واجب [٥].

---

(١) ينظر: المبسوط : ٢/ ٢٤ ؛ الهداية للمرغيناني: ٨٣/١ ؛ تبيين الحقائق : ١/ ٢١٩ ؛ الإشراف: ١٣١/١ ؛ بداية المجتهد: ١٦٠/١ ؛ الفواكه الدواني: ٣٠٦/١؛ الوجيز: ٦٣/١ ، والمجموع: ٥١٣/٤ ، ٥١٤ ؛ روضة الطالبين ٢٤/٢ ؛ المغني ١٧٠/٣ – ١٧١ ؛ الإنصاف ٣٨٦/٢؛ الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: يوسف البحراني قدس سره، (ت:١١٨٦)، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤/ ٢٢٧؛ التاج المذهب لأحكام المذهب: أحمد بن يحيى بن المرتضى –زيدية، دار الكتاب الإسلامي، ١/ ٢٧٨.

(٢) سورة الجمعة : (٩).

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٦٥/٢٨ – ٦٦ ؛ أحكام القرآن :١٨٠٥/٤ ؛ الجامع لأحكام القرآن: ١٠٧/١٨ .

(٤) أحكام القران : ١٨٠٥/٤ ؛ الجامع ١١٤/١٨.

(٥) المبسوط :٢٤/٢ ؛ بدائع الصنائع: ١٦١/١ ؛ الحاوي الكبير: ٤٤/٣ ؛ شرح الزركشي على الخرقي ١٧٣/٢ ؛ كشاف القناع :٣١/٢.

الثاني: إن الله أمر بترك البيع عند النداء للصلاة، مما يعني أن البيع يصبح محرمًا في ذلك الوقت. فتحريم البيع يدل على وجوب أداء الصلاة، لأن ما كان مستحبًا لا يؤدي إلى تحريم الأمر المباح(١).

على اعتبار أن المقصود هو الصلاة، فإن الخطبة تُعد جزءًا منها، والإنسان يكون ذاكراً لله من خلال أفعاله، كما يكون مسبحاً له بأعماله (٢).

٢ – قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (٣).

وجه الدلالة: أن الله تعالى قد ذمّهم على الانصراف وترك الخطبة، والواجب هو ما يُذم تاركه في الشريعة(٤).

٣– ما صح عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: "كان النبي يخطب قائما، ثم يقعد، ثم يقوم، كما تفعلون الآن" (٥).

٤– ما صح عن جابر بن سمرة ﷺ قال: "كان رسول الله يخطب قائما، ثم يجلس، ثم يقوم فيخطب قائما، فمن نبأك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب، فقد صليتُ معه أكثر من ألفي صلاة" (٦).

ودلالة هذا الفعل ظاهرة على وجوب الخطبة.

ويُرد عليهم:

بأن ما جاء فيهما ما هو إلا فعل، و ومجرد الفعل لا يعني الوجوب(٧).

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي :١٨٠٥/٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) سورة الجمعة : اية رقم (١١).
(٤) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١٨١٠/٤ ؛ الجامع لأحكام القرآن: ١١٤/١٨.
(٥) متفق عليه، صحيح البخاري: باب الخطبة قائما ٢٢١/١، برقم: (٨٧٨؛ صحيح مسلم: باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيهما من الجلسة، ٥٨٩/٢ ، برقم: (٨٦١).
(٦) صحيح مسلم: باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيهما من الجلسة ٥٨٩/٢ ، برقم: (٨٦٢).
(٧) ينظر: نيل الأوطار ٢٦٥/٣.

وأجيب:

من الممكن التسليم بذلك لو كان في المسألة دليل غيرهما ، لكن جاء الأمر بالخطبة بالمجمل في قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ:))[١]، فيكون هذا الفعل بيانا لهذا الأمر المجمل، فيكون واجبا.

٥- ما ورد في قول مالك بن الحويرث الصحابي الجليل أن النبي قال:

"صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي" [٢].

وجه الدلالة: ان النبي لم يصلِّ النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة في حياته دون خطبة، وقد أمرنا بأداء الصلاة كما كان يؤديها. فلو كانت صلاة الجمعة تصح دون خطبة، لكان فعل ذلك ولو لمرة واحدة لإيضاح جوازها بهذا الشكل [٣].

ويُرد عليهم من وجهين:

الأول: هذا الحديث، حديث مالك بن الحويرث، لا يمكن اعتباره دليلاً على الوجوب، لأن القول بوجوبه يستدعي اعتبار العديد من السنن واجبة، وذلك لأن النبي كان يقوم بها في صلاته [٤].

وأُجيب:

يمكن الإجابة عن ذلك بالقول إن هذا الأمر ينطبق فقط في حال عدم وجود أدلة أخرى تشير إلى الوجوب وتؤكد أن هذا الفعل يدل على الوجوب، كما ورد في الآيات المشار إليها سابقًا، بالإضافة إلى الاستمرار والمداومة.

الثاني: حديث مالك هذا يشير فقط إلى التوجيه بأداء الصلاة بالطريقة التي كان يتم أداؤها بها، أما الخطبة فهي ليست جزءًا من الصلاة[١].

---

(١) سورة الجمعة: ٩.

(٢) صحيح البخاري: باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة، ٢٢٦/١، برقم: (٦٠٥).

(٣) ينظر: المبسوط: ٢٤/٢ ؛ تبيين الحقائق :٢١٩/١ ؛الإشراف:١٣١/١ ؛ الفواكه الدواني: ٣٠٦/١ ؛ الجامع لأحكام القرآن: ١١٤/١٨ ؛ المغني: ١٧١/٣ ؛ شرح الزركشي على الخرقي: ١٧٣/٢ ؛ كشاف القناع: ٣١/٢.

(٤) ينظر: نيل الأوطار: ٢٦٥/٣.

وأُجيب عن ذلك: الخطبة، وإن لم تكن صلاة بحد ذاتها، تعتبر عملاً مرتبطًا بالصلاة ومن أجلها، ولا قيمة لها بدون وجود الصلاة. لذلك، تأخذ حكم الصلاة، وبما أن الخطبتين تُعدّان بدلاً عن ركعتين، فإن لهما نفس حكم الصلاة.

٦- ما ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "الخطبة موضع الركعتين، من فاتته الخطبة صلى أربعا" [٢] وفي رواية: "إنما جُعِلَت الخطبة مكان الركعتين فإن لم يدرك الخطبة فليصل أربعا" [٣].

وجه الدلالة: يفيد هذا الأثر أن الخطبتين تُعدّان بديلاً لركعتي صلاة الظهر، وهما واجبتان باعتبار أنهما جزء منها، وبالتالي يكون حكم البديل عنهما على نفس المنوال.

ويُرد عليهم من وجهين:

الأول: هذا الأثر مقطوع الاسناد[٤] فلا يحتج به في الاستدلال.

الثاني: إن صح ثبوت ذلك، فهو قول صحابي يُختلف في الاحتجاج به. وقد نُسب هذا القول إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما [٥] ، وإلى عائشة -رضي الله عنها- [٦].

ويناقش بمثل الوجه الثاني من وجهي مناقشة أثر عمر ﷺ الذي تقدم ذكره.

القول الثاني: الخطبة سنة في الجمعة، وبهذا قال الظاهرية[٧]والحسن البصري، وهو رواية عن مالك، وهو قول بعض أصحابه[٨]، وقد وصف الماوردي هذا القول بالشاذ حيث

---

(١) ينظر: نيل الأوطار: ٢٦٥/٣.

(٢) مصنف عبد الرزاق؛ باب من فاتته الخطبة ٢٣٧/٣ ، برقم: (٥٤٨٥).

(٣) مصنف ابن ابي شيبة: باب الرجل تفوتة الخطبة ١٢٨/٢، برقم: (٥٣٦٧).

(٤) ذكره محقق شرح الزركشي على الخرقي في هامشه ١٧٣/٢ ، ولم اجده في كتب التخريج التي بين يدي.

(٥) الزركشي في شرح الخرقي: ١٧٣/٢ ، ولم اجده فيما بين يدي من كتب الآثار.

(٦) المغني لابن قدامة: ١٧١/٣ ؛ الزركشي في شرح الخرقي ١٧٣/٢ ، ولم اجده فيما بين يدي من كتب الآثار.

(٧) ينظر: المحلى بالآثار: ٣/ ٢٦٢.

(٨) ينظر: الإشراف ١٣١/١ ؛أحكام القرآن : ١٨٠٥/٤ ؛ الجامع لأحكام القرآن: ١١٤/١٨.

قال: "فهو مذهب الفقهاء كافة إلا الحسن البصري فإنه شذ عن الإجماع وقال: إنها ليست واجبة" [١].

قال ابن قدامة: (وهو قول أكثر أهل العلم، لا نعلم أحدا خالف فيه، إلا الحسن)[٢].

واستدلوا بدليل عقلي وهو قولهم أنها لم تثبت من قول النبي وإنما ثبتت من فعله، وكذلك تصح صلاة الجمعة لمن لم يحضر الخطبة، فلو كانت الخطبة شرطًا واجبًا لصحة صلاة الجمعة، لما جاز أداؤها إلا بحضورها [٣].

ويُرد عليه:

هذا الأمر يُعتبر خطأً وقد تم توضيحه بالإجماع الذي أُقر في زمن الحسن وبعده. ثم ناقش القول بعدم صوابه، مستندًا إلى أن الركعتين واجبتان بالإجماع، بالإضافة إلى أن إدراك صلاة الجمعة لا يعتمد على الخطبة بالضرورة. فإذا أدرك المصلي ركعة واحدة، صحّت له صلاة الجمعة، وبالتالي يُطبق نفس الحكم على الخطبة [٤].

الرأي الراجح:

بعد عرض ما تقدم فأن الذي يبدو لي رجحانه هو ما ذهب اليه اصحاب القول الأول الذين قالوا الخطبة لابد منها لصحة الجمعة؛ وذلك لقوة أدلتهم وصراحتها؛ ولأنه يكاد يكون اجماعاً في المسألة .

وبهذا يتبين أن الحسن لم يكن وحده من خالف في هذه المسألة فهناك من وافق الحسن في قوله كما بينت في القول الثاني. والله تعالى أعلم.

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيرًا.

---

(١) الحاوي الكبير:٢/ ٤٣٢

(٢) المغني لابن قدامة: ٢/ ١٥٢.

(٣) الحاوي الكبير: ٤٤/٣؛ المحلى بالآثار: ٣/ ٢٦٢.

(٤) ينظر: الحاوي الكبير: ٣/ ٤٤.

أما بعد:

فبعد توفيق الله قد أتممت كتابة هذا البحث المعنون بالمسائل التي قال عنها ابن قدامة في كتابه المغني لم يخالف فيها إلا الحسن – مسائل مختارة في كتاب الصلاة – جمعاً ودراسة، وقد توصلت إلى نتائج أذكر منها ما يلي:

١. مكانة ابن قدامة رحمه الله بين العلماء إذ ينقل الاتفاق في المسائل والمخالف فيها ، وهذه لا تكون إلا لمن أحاط بأقوال العلماء وخلافهم.

٢. اهتم ابن قدامة رحمه الله في كتابه المغني بنقل خلاف الفقهاء والاستدلال لهم ومناقشة أدلتهم.

٣. تبين لي من خلال البحث أن أغلب المسائل هي كما قال ابن قدامة لم يخالف فيها إلا الحسن البصري.

٤. وجدت بعض المسائل أن المخالف فيها ليس الحسن وحده وإنما خالف فيها غيره ولعل ابن قدامة رحمه الله لم يطلع عليها.

٥. تبين لي في مسألة صلاة المرأة مكشوفة الرأس أنه لم يخالف فيها الحسن البصري رحمه الله.

٦. ظهر لي في مسألة اشتراط الخطبة لصلاة الجمعة أن الحسن لم وحده من خالف بل هناك من خالف أيضاً وقال بقول الحسن.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. **ابن قدامة وآثاره الأصولية:** عبد العزيز السعيد، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٢. **الإجماع:** محمد بن إبراهيم النيسابوري، أبو بكر (ت : ٣١٩هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار المسلم ، ط ١ ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣. إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام: ابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، د.ت

٤. **أحكام الطهارة** : أبو عمر دُبْيَانِ بن محمد الدُّبْيَانِ، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض–المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٥. **أحكام القرآن**: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي /عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ ه.

٦. **أحكام القرآن**: أبو بكر بن العربي القاضي محمد بن عبد الله الاشبيلي المعافري المالكي (ت: ٥٤٣هـ) راجعه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٧. **اختلاف الفقهاء**: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، تحقيق: الدُّكْتُوْر مُحَمَّد طَاهِر حَكِيْم، الأستاذ المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، أضواء السلف– الرياض، الطبعة الأولى الكاملة، ١٤٢٠هـ =٢٠٠٠م .

٨. **الاختيار لتعليل المختار**: مجد الدين أبو الفضل الحنفي عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، (ت: ٦٨٣هـ) تعليق: الشيخ محمود أبو دقيقة ، مطبعة الحلبي – القاهرة.

٩. بداية المجتهد ونهاية المقتصد: أبو الوليد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد (ت: ٥٩٥هـ)، دار الحديث – القاهرة.
١٠. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: الكاساني الحنفي علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد (ت: ٥٨٧هـ) دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١١. البناية شرح الهداية: بدر الدين العينى أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى (ت: ٨٥٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
١٢. البيان في مذهب الإمام الشافعي: أبو الحسين العمراني اليمني الشافعي يحيى بن أبي الخير بن سالم (ت: ٥٥٨هـ)، تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج – جدة، ط ١، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م .
١٣. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ: فخر الدين الزيلعي الحنفي عثمان بن علي بن محجن البارعي، (ت: ٧٤٣ هـ)، الحاشية: أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس

بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (ت: ١٠٢١ هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية – القاهرة، ط ١، ١٣١٣ هـ.

١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٥. الحاوي الكبير: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود – دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م.

١٦. الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: يوسف البحراني قدس سره، (ت:١١٨٦)، مؤسسة النشر الاسلامي.

١٧. روضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– عمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

١٨. السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.

١٩. شرح الزركشي على مختصر الخرقي: محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي شمس الدين (ت: ٧٧٢هـ) دار العبيكان، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٢٠. صحيح البخاري: أبو عبدالله البخاري الجعفي محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٢١. صحيح مسلم: أبو الحسن القشيري النيسابوري مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٢. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي أحمد بن غانم بن سالم ابن مهنا، (ت: ١١٢٦هـ)، دار الفكر.

٢٣. المبسوط: شمس الأئمة السرخسي محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة – بيروت.

٢٤. المحلى بالآثار: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٢٦. مصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، الناشر: دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٢٧. المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢٨. معجم المؤلفين: عمر بن رضا عبد الغني كحالة الدمشقي (ت: ١٤٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، مكتبة المثنى – بيروت.

٢٩. المغني لابن قدامة: ابن قدامة المقدسي أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، (ت: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة.

٣٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين النووي يحيى بن شرف الدين (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٢، ١٣٩٢.

٣١. نيل الأوطار: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.